نحو علم اجتماع تنويري
Towards an enlightened sociology
للدراسات والأبحاث الإنسانية والسوسيولوجية

المفاهيم الدالة على طبيعة السؤال البحثي في عناوين البحوث السوسيولوجية الميدانية

(بين الدلالة العلمية والاختيار المنهجي مع أمثلة توضيحية)



د. حسام الدين فياض
باحث وأكاديمي سوري

الطبعة الأولى 2026

إلى روح والدي الرحمة والمغفرة

نحـــو عـــــلم اجتمـــــاع تنـــويـــري

Towards an enlightened sociology

الدراسـات والأبحـاث الإنسانية والسـوسيولوجية

- تأليف د. حسام الدين فياض أستاذ النظرية الاجتماعية المعاصرة المساعد

المفاهيم الدالة على طبيعة السؤال البحثي في عناوين البحوث السوسيولوجية الميدانية

(بين الدلالة العلمية والاختيار المنهجي مع أمثلة توضيحية)

- الناشر نحو علم اجتماع تنويري للدراسات والأبحاث الإنسانية والسوسيولوجية
- ماردين (تركيا) - الطبعة الأولى – أغسطس / آب عام 2026
- كتاب إلكتروني - عدد الصفحات 70 - القياس (16×23)
- @ enlightenment980@gmail.com

لا يبدأ البحث السوسيولوجي من المنهج الذي يريد الباحث استخدامه، بل من السؤال الذي يريد فهمه، فالسؤال هو الذي يحدد طبيعة المعرفة المطلوبة، والمفاهيم التي تكشف أبعاد الظاهرة، والمنهج القادر على الوصول إليها. لذلك فإن اختيار المفهوم في عنوان البحث ليس قراراً لغوياً محايداً، وإنما هو اختيار معرفي ومنهجي يوجه زاوية النظر إلى الواقع، ويحدد ما ينبغي ملاحظته وتحليله وتفسيره. وكلما كان المفهوم أكثر دقة في التعبير عن طبيعة السؤال البحثي، أصبح المنهج أكثر قدرة على إنتاج معرفة سوسيولوجية تتجاوز وصف الظاهرة إلى فهم بنيتها ودلالاتها والعلاقات الاجتماعية التي تشكلها. ومن ثم، فإن قوة البحث الميداني لا تتحدد بكثرة أدواته، بل بمدى الانسجام بين السؤال والمفهوم والمنهج، لأن المنهج الجيد ليس ما يطبقه الباحث بكفاءة فحسب، بل ما يستجيب لطبيعة السؤال الذي يفرضه الواقع الاجتماعي.

حسام الدين فياض

فهرس الموضوعات

العنصر العاشر

العنصر الحادي عشر

العنصر الثاني عشر

- المقدمة:

في الدراسات السوسيولوجية الميدانية، لا تستخدم المفاهيم في عناوين البحوث بوصفها ألفاظاً متقاربة يمكن استبدال بعضها ببعض، وإنما يحمل كل مفهوم دلالة علمية ومنهجية تحدد طبيعة السؤال الذي تسعى الدراسة إلى الإجابة عنه، ونوع العلاقة التي تبحث فيها، ومستوى التفسير الذي يمكن أن تصل إليه. فاختيار الباحث لمفهوم مثل " **الدور** "، أو " **العلاقة** "، أو " **التأثير**"، أو " **الأثر** "، أو " **العوامل** "، أو " **المحددات** "، أو " **الاتجاهات** "، أو " **التصورات** "، أو " **الممارسات** "، أو " **الآثار** "، أو " **الانعكاسات** "، أو " **التداعيات** " يحدد منذ البداية **زاوية النظر إلى الظاهرة الاجتماعية.**

فالدور على سبيل المثال لا الحصر، يحيل إلى الوظيفة والإسهام، والعلاقة إلى الارتباط بين المتغيرات، **والتأثير** إلى عملية التغيير وآلياته، بينما يشير **الأثر** إلى النتيجة المترتبة على ظاهرة أو تدخل. أما **العوامل** فتتصل بتعدد المتغيرات المساهمة في تفسير الظاهرة، **والمحددات** بما يفسر مستواها أو اتجاهها، في حين تتجه **التصورات** إلى فهم المعاني والصور الذهنية، **والاتجاهات** إلى المواقف والميول، **والممارسات** إلى ما يفعله الفاعلون فعلياً، ...إلخ.

وتتجاوز أهمية هذه المفاهيم حدود صياغة العنوان، **إذ يرتبط كل منها بطبيعة السؤال البحثي والتصميم المنهجي والأدوات ونوع الأدلة المطلوبة.** ولذلك فإن استخدام مفهوم أقوى من قدرة التصميم على إثباته قد يؤدي إلى اختلال منهجي بين العنوان ومضمون الدراسة، كأن يستخدم الباحث " **التأثير** " في دراسة لا

تتجاوز قياس العلاقة أو تصـــورات المبحوثين عنها. ومن هنا تصـــبح الدقة المفاهيمية في صـياغة العنوان جزءاً من الدقة المنهجية للبحث نفسـه، لأنها تحدد منذ البداية ما الذي يحق للباحث أن يدعيه استناداً إلى تصميم دراسته وبياناتها.

بناءً على ما سـبق، سـنناقش تلك المفاهيم سـوسـيولوجياً ومنهجياً، في سـياق الاختيار الواعي والدقيق لصياغة عناوين البحوث السوسيولوجية الميدانية، للكشف عن دلالاتها العلمية، وما تعكسه من طبيعة السؤال البحثي وتوجهاته المنهجية.

- نصيحة للباحثين والطلاب:

اجعلوا اختيار المفهوم في عنوان البحث قراراً علمياً واعياً، لا مجرد اختيار لغوي يبدو مناسـباً للموضـوع، فالمفهوم الذي تضـعونه في العنوان يوجه سـؤالكم، ويحدد زاويـة نظركم إلى الظـاهرة، ويؤثر في اختيـاركم للمنهج وأدوات جمع البيـانـات وتحليلها. لذلك، ابدؤوا دائماً بتحديد ما تريدون معرفته بدقة، ثم اختاروا المفهوم الذي يعبر عنه، والمنهج الذي يسـتطيع الوصـول إليه، فالبحث السـوسـيولوجي المتماسك يبدأ من سؤال واضح، ويتأسس على مفهوم دقيق، وينتهي بمعرفة يمكن الدفاع عن قيمتها العلمية.

﴿الله وليُّ التوفيق، وهو يهدي السبيل﴾

ماردين في 2026/08/22

د. حسام الدين فياض

أولاً- (الدور) المفهوم الوظيفي: الدور هو **الموقع الوظيفي** الذي يشغله فاعل أو جماعة أو مؤسسة أو عنصر اجتماعي داخل ظاهرة أو نسق معين، وما يرتبط بهذا الموقع من **مهام وتوقعات وإسهامات** تؤثر في كيفية انتظام العلاقات والعمليات داخل ذلك السياق.

– **جوهر مفهوم الدور**: ينطلق مفهوم الدور من النظر **إلى الظاهرة الاجتماعية بوصفها بنية تتوزع فيها وظائف وإسهامات مختلفة بين الفاعلين والعناصر المكونة لها**، ولذلك يركز الباحث على تحديد طبيعة الدور الذي يؤديه العنصر، وحدوده، وعلاقته بالأدوار الأخرى، ومدى إسهامه في تحقيق وظيفة أو غاية معينة داخل الظاهرة. ومن هنا، فإن السؤال الذي يحكم الدراسة هو: **ما موقع هذا العنصر في الظاهرة المدروسة، وما الوظيفة التي يؤديها ضمنها؟**

ويعني ذلك أن مفهوم " **الدور** " في هذا السياق يحمل دلالة وظيفية وإسهامية في الأساس، ولا ينطوي بذاته على افتراض سببي، إذ يتركز الاهتمام على فهم وظيفة العنصر وموقعه وإسهامه في البناء الاجتماعي، لا على إثبات كونه سبباً مباشراً في حدوث الظاهرة.

– **ملاحظة منهجية:** إن السؤال الأساسي في دراسة " **الدور** " لا ينطلق من البحث في علاقة سببية من نوع: هل أحدث X تغيراً في Y؟، لأن هذا السؤال ينتمي إلى منطق التأثير والسببية، وإنما يتجه إلى الكشف عن طبيعة الوظيفة التي يؤديها X داخل Y، وكيف يمارس هذا الدور ضمن السياق الاجتماعي.

وعليه يمكن أن يصاغ السؤال على النحو الآتي: **ما الدور الذي يؤديه X في Y؟ وكيف يمارس X هذا الدور داخل Y؟**

فالاهتمام هنا ينصب على وظيفة X، وموقعه، وإسهامه، وطريقة أدائه لهذا الدور وتفاعله مع بقية العناصر، وليس على إثبات أن X تسبب في حدوث تغير معين في Y.

- **مثال: دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية للأطفال**

في هذه الدراسة لا يحتاج الباحث بالضرورة إلى إثبات أن الأسرة " **سببت** " التنشئة، بل **يدرس الوظائف التي تؤديها الأسرة: نقل القيم، الضبط، التوجيه، اكتساب المعايير، تشكيل السلوك** ،،،، إلخ.

- **مثال آخر: دور الجامعة في تعزيز المشاركة المجتمعية لدى الشباب**

تعليق: يمكن أن يُدرس الدور من خلال التعليم، والأنشطة، والتفاعل، والفرص التي توفرها الجامعة

- ما الذي لا ينبغي فعله؟ إذا كان الباحث يريد قياس: هل يؤدي التعرض لبرنامج جامعي معين إلى زيادة المشاركة المجتمعية؟

في هذا السياق مفهوم " **الدور** " ليس بالضرورة أفضل مفهوم، لأن السؤال أصبح أقرب إلى **التأثير أو الأثر**، خصوصاً إذا كان هناك **قياس قبل / بعد.**

- الدراسات المناسبة لمفهوم " الدور ":

1. **الوصفية – التحليلية:** مناسبة جداً، لأنها تستطيع وصف وظائف العامل وتحليلها.
2. **دراسة الحالة:** مناسبة جداً عندما يكون الدور مرتبطاً بمؤسسة أو جماعة أو مجتمع محدد.
3. **الاستطلاعية:** مناسبة عندما يكون مفهوم الدور نفسه غير واضح أو لم يدرس بما يكفي، فيستكشف الباحث أبعاده.
4. **النوعية:** مناسبة جداً عندما يريد الباحث فهم كيفية ممارسة الدور من وجهة نظر الفاعلين.
5. **التجريبية وشبه التجريبية:** يمكن أن تستخدم عندما يتحول " **الدور** " إلى متغير أو تدخل محدد، لكن العنوان عندها غالباً يصبح أكثر دقة باستخدام التأثير أو الأثر.

- **خلاصة القول**: يشرح لنا مفهوم " **الدور**" ما يفعله العنصر داخل الظاهرة، وما الوظيفة أو الإسهام الذي يؤديه في تشكيلها أو تنظيمها أو استمرارها. ولذلك فإن مفهوم " **الدور** " ينظر إلى العنصر باعتباره جزءاً من منظومة اجتماعية، ويسأل عن وظيفته وموقعه وإسهامه في عمل الظاهرة، وليس عن كونه سبباً مباشراً في حدوثها.

وعندما يستخدم الباحث " **الدور** " في عنوان الدراسة، فإنه يهتم بتحديد طبيعة الإسهام الذي يقدمه الفاعل أو المؤسسة أو الجماعة أو المتغير داخل الظاهرة

المدروســـة، وكيف يتكامل هذا الإســـهام مع الأدوار الأخرى ضـــمن الســـياق الاجتماعي. ولهذا يرتبط المفهوم غالباً بتحليل الوظائف والأدوار والتكامل والتنسيق والإسهام داخل الظاهرة.

ومن المهم **منهجياً** عدم الخلط بين الدور والتأثير، فالبحث في الدور لا يعني بالضـرورة إثبات أن العنصـر أحدث تغييراً سـببياً في الظاهرة. فقد يكون للعنصـر دور مهم أو إسهام واضح دون أن يكون من الممكن إثبات أنه السبب المباشر في حدوث نتيجة معينة. **فالدور يعني ماذا يفعل العنصـــر؟ وما إســـهامه ووظيفته داخل الظاهرة؟ أما التأثير يعني كيف يُحدث العنصر تغييراً في ظاهرة أخرى؟**

ومن ثم فإن مفهوم " **الدور** " وظيفي/ إســـهامي بالدرجة الأولى، وليس مفهوماً ســـببياً بالضـــرورة، وهذا هو جوهر دلالته عند اســـتخدامه في عناوين البحوث السوسيولوجية الميدانية.

ثانياً- (التأثير) المفهوم الديناميكي: التأثير هو عملية التغيير التي يحدثها عامل أو ظاهرة في عامل أو ظاهرة أخرى، بما يكشف كيفية حدوث التغيير وآلياته ومساره وتطوره عبر الزمن أو في سياق اجتماعي معين.

في هذا السياق، ينبغي أن نكون أكثر دقة. " **التأثير** " لا يعني فقط وجود علاقة بين متغيرين، ولا يعني مجرد أن هناك نتيجة. إنه يشير إلى **عملية تغيير تنتقل من عامل إلى آخر، ويمكن تحليل آلياتها ومسارها وشروط حدوثها وتطورها.**

– **السؤال المركزي:** كيف يؤثر X فيY ؟ ولماذا يحدث هذا التأثير؟ وكيف يتطور؟

ولهذا فإن " **التأثير** " يحمل بعداً **ديناميكياً.**

– **مثال: تأثير استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في العلاقات الأسرية**

وإذا كانت الدراسة جيدة منهجياً، فلا ينبغي أن تكتفي بالسؤال: هل توجد علاقة بين استخدام وسائل التواصل والعلاقات الأسرية؟ **بل يمكن أن تسأل:**

1. كيف يغير الاستخدام أنماط التواصل؟
2. كيف يعيد توزيع الوقت داخل الأسرة؟
3. كيف يتغير التفاعل المباشر؟
4. ما الآليات التي تجعل الاستخدام يؤثر في العلاقة؟
5. هل يتزايد التأثير مع زيادة الاستخدام؟
6. هل يختلف باختلاف العمر أو نوع الاستخدام؟

7. هنا نحن أمام مسار تأثير وليس مجرد نتيجة.

- ولذلك، فإن " **التأثير**" أقرب إلى مسـار يتجه من: عامل ← آلية ← تغير ← تطور، لكي يصـل إلى النتيجة. بينما " **الأثر** " أقرب إلى مسـار يتجه من: عامل ← نتيجة، لكي يحدد ما الذي ترتب عليه. وهذا أحد أهم الفروق بينهما.

- **الدراسات المناسبة لمفهوم " التأثير "**:

1 . **الدراسات التجريبية:** هذه أقوى الحالات عندما يكون الباحث يريد الحديث عن تأثير بالمعنى السببي.

مثلاً: تأثير برنامج للتوعية الأسرية في تحسين مهارات التواصل لدى الأزواج

يُقسـم المشـاركون إلى مجموعة تجريبية وأخرى ضـابطة، ويقاس التغير. هنا نستطيع الحديث عن تأثير التدخل بدرجة أقوى.

2 . **الدراسـات شـبه التجريبية:** مهمة جداً في السـوسـيولوجيا لأن التجربة الاجتماعية الكاملة ليست دائماً ممكنة.

مثلاً: تأثير برنامج للتمكين الاقتصادي في اتجاهات النساء نحو العمل

فقد توجد مجموعة اسـتفادت من البرنامج ومجموعة مقارنة، لكن الباحث لا يستطيع التوزيع العشوائي الكامل. بذلك يصبح الحديث عن التأثير ممكناً، لكن مع حذر أكبر في الاستدلال السببي.

3 . **الدراســـات الكمية التحليلية:** يمكن أن تســـتخدم " **التأثير**" عندما يكون هناك تصـــميم يســـمح بتحليل العلاقة بين متغيرات، لكن يجب التمييز بين قياس العلاقة وإثبات السببية.

فمجرد وجود **ارتباط إحصائي** لا يكفي وحده للقول إن X يؤثر فيY .

4. **الدراســـــات النوعية:** وهذه نقطة مهمة. ويمكن أن تكون لدينا دراســـــة نوعية بعنوان: **تأثير الهجرة في العلاقات الأسرية: دراسة حالة (كيفية)**

فـإذا كـان الهـدف هو فهم كيف يحـدث التـأثير من خلال تجـارب المهـاجرين وأســـرهم. لكن الدراســـة النوعية هنا لا تثبت التأثير الســـببي بالطريقة نفســـها التي تفعلها التجربة، وإنما تكشف الآليات والمسارات والتجارب التي يتشكل من خلالها التأثير.

- **خلاصـــــة القول**: يشـــــير مفهوم " **التأثير** " إلى عملية التغيير وكيفية حدوثها وتطورها، فهو مفهوم أكثر ديناميكية من الأثر، لأنه لا يكتفي بالإشارة إلى النتيجة التي أحدثتها الظاهرة، بل يهتم بمســـــار التغيير وآلياته واتجاهاته ودرجة امتداده داخل المجال الاجتماعي. لذلك، فإن اســـــتخدام مفهوم التأثير في عنوان البحث يوجه الباحث نحو دراســـة العلاقة المتحركة بين الظاهرة ونتائجها، وكيف تتشـــكل هذه النتائج وتتطور وتتفاعل مع السياق الاجتماعي.

ثالثاً- **(الأثر) المفهوم النتائجي**: الأثر هو النتيجة أو التغير الذي يترتب على ظاهرة أو عامل أو تدخل، ويظهر في صورة تحول يمكن رصده في الظاهرة أو المجال الذي وقع عليه ذلك العامل.

فإذا كان " **التأثير** " يهتم بالعملية، فإن " **الأثر** " يهتم بما انتهت إليه العملية، باختصار شديد:

– **السؤال الأساسي الذي يطرحه هذا المفهوم في سياق البحث:** ما الذي تركه X فيY ؟ أو: ما النتيجة التي ترتبت علىX ؟

– **مثال: أثر الهجرة في التماسك الاجتماعي للمجتمع المحلي....** هنا يبحث الباحث في النتائج التي ترتبت على الهجرة وأظهرت تغيراً في مستوى التماسك الاجتماعي، مثل:

1. **تغير شبكات العلاقات:** كاتساع أو تراجع العلاقات بين الأسر والأقارب والجيران نتيجة تغير أنماط السكن والهجرة.
2. **تغير المشاركة المحلية:** مثل انخفاض أو ارتفاع مشاركة السكان في الأنشطة والمبادرات المجتمعية.
3. **تغير أشكال التضامن:** كتحول المساعدة المتبادلة بين الأسر من التضامن المباشر إلى أشكال أخرى من الدعم.
4. **تغير العلاقات بين الأسر:** مثل تغير درجة التواصل والزيارات والتعاون بين الأسر التي بقيت في المجتمع والأسر التي هاجرت.

5. **تغير الثقة الاجتماعية:** مثل تغير مستوى الثقة بين السكان، أو الثقة بالآخرين وبالجماعات الوافدة إلى المجتمع.

أي أن الباحث هنا لا ينشغل بتتبع العملية التي انتقلت من خلالها الهجرة إلى التماسك الاجتماعي، ولا بتحليل الآليات التي جعلت الهجرة تحدث تغيراً معيناً، وإنما يركز على الحصيلة الاجتماعية التي ترتبت على الهجرة وما أصبح عليه التماسك الاجتماعي بعد حدوثها. لذلك يبحث في مظاهر التغير التي يمكن رصدها في العلاقات وشبكات التواصل والمشاركة والتضامن والثقة الاجتماعية، ويقارن بين ما كان قائماً وما أصبح قائماً، أو بين الفئات والمجتمعات التي اختلفت درجة تعرضها للهجرة.

فإذا أظهرت الدراسة، مثلاً، تراجع التواصل بين الأسر، أو تغير أنماط التضامن، أو انخفاض المشاركة في الأنشطة المحلية، فإن هذه النتائج تمثل آثاراً للهجرة في التماسك الاجتماعي. ولا يعني ذلك بالضرورة أن الباحث أثبت أن الهجرة وحدها هي التي سببت هذه التغيرات، فقد تكون هناك عوامل أخرى متداخلة، مثل الظروف الاقتصادية أو التحولات الديموغرافية أو تغير أنماط العمل.

ومن هنا تبرز **القيمة المنهجية** لمفهوم " **الأثر**"، فهو يوجه الباحث إلى دراسة النتيجة المترتبة على الظاهرة ورصد مظاهرها ومدى انتشارها واتجاهها، مع ضرورة التمييز بين إثبات وجود نتيجة مرتبطة بالظاهرة وبين إثبات السببية الكاملة

لها. وهذا ما يجعل اختيار " **الأثر** " في العنوان مناسباً عندما يكون اهتمام الدراسة الأساسي هو الحصيلة والتغير الناتج، وليس مسار التأثير وآلياته.

- **الدراسات المناسبة لمفهوم " الأثر ":**

1. **الدراسات الوصفية – التحليلية:** تناسب رصد النتائج والتغيرات المترتبة على الظاهرة، ووصف مظاهرها وتحليل حجمها واتجاهها وتوزيعها.
2. **الدراسات التجريبية:** تعد من أنسب التصميمات عندما يكون الأثر ناتجاً عن تدخل محدد يمكن للباحث التحكم فيه وقياس نتائجه من خلال المقارنة بين الحالات أو المجموعات.
3. **الدراسات شبه التجريبية:** مناسبة عندما يريد الباحث قياس أثر تدخل أو برنامج، لكنه لا يستطيع تحقيق شروط التجربة الكاملة، مثل التوزيع العشوائي للمشاركين.
4. **الدراسات المقارنة:** تناسب مقارنة النتائج بين مجموعات أو مجتمعات أو فترات مختلفة، للكشف عن اختلاف حجم الأثر أو اتجاهه.
5. **دراسات الحالة:** مناسبة لدراسة الأثر بعمق داخل حالة اجتماعية محددة، وفهم مظاهره في سياقها الواقعي.
6. **الدراسات الطولية:** تكون مناسبة بصورة خاصة عندما يريد الباحث رصد التغير عبر الزمن ومقارنة الوضع قبل الظاهرة أو التدخل وبعده، بما يساعد على تحديد الحصيلة المتحققة.

7. **الدراسات المختلطة:** تناسب الحالات التي يحتاج فيها الباحث إلى قياس الأثر كمياً وتحديد حجمه، ثم تفسير طبيعته وسياقه وكيفية ظهوره من خلال البيانات النوعية.

- **الفرق الدقيق بين أثر وتأثير:**

على الرغم من التقارب اللغوي بين الأثر والتأثير، فإن استخدامهما في عناوين الدراسات السوسيولوجية يعبر عن اختلاف في زاوية النظر إلى التغير الاجتماعي، فالباحث الذي يستخدم مفهوم " **التأثير** " يهتم بالعملية التي تنتقل من خلالها الظاهرة إلى تغيير ظاهرة أخرى، بينما يهتم الباحث الذي يستخدم " **الأثر** " بما انتهت إليه هذه العملية من نتائج. لذلك فإن الفرق بينهما لا يتعلق بالصياغة اللغوية فقط، وإنما يحدد طبيعة السؤال البحثي ومسار التحليل.

فلو أخذنا الهجرة مثالاً: **تأثير الهجرة في التماسك الاجتماعي**

فالسؤال هنا هو: كيف تؤدي الهجرة إلى تغير التماسك الاجتماعي؟ أي أن الباحث يتتبع مسار التغيير، والآليات التي حدث من خلالها، وكيف انتقل تأثير الهجرة إلى العلاقات وشبكات التواصل والتضامن والثقة الاجتماعية.

أما: **أثر الهجرة في التماسك الاجتماعي**

فالسؤال هنا هو: ما الذي حدث للتماسك الاجتماعي نتيجة الهجرة؟ أي أن الباحث يركز على الحصيلة التي تركتها الهجرة، وما التغيرات التي ظهرت في مستوى التماسك الاجتماعي ومظاهره.

إذن: **التأثير** = مسار التغيير وآلياته / **الأثر** = حصيلة التغيير ونتائجه.

وتتبع أهمية هذا التمييز من أن اختيار أحد المفهومين يوجه الباحث إلى نوع مختلف من الأسئلة والبيانات والتحليل، فدراسة التأثير تتطلب الاهتمام بكيفية حدوث التغيير وتطوره، بينما تركز دراسة الأثر على رصد النتائج التي ترتبت على الظاهرة. لذلك ينبغي ألا يستخدم المفهومان بوصفهما مترادفين في عنوان البحث، لأن كل واحد منهما يحدد زاوية منهجية مختلفة لدراسة الظاهرة نفسها.

- **خلاصة القول:** يمثل " **الأثر** " مفهوماً نتائجياً يوجه الباحث نحو الحصيلة التي يمكن ملاحظتها ورصدها وتحليلها بعد وقوع الظاهرة أو العامل المدروس. ولذلك فإن القيمة الأساسية للمفهوم تكمن في نقل الاهتمام من الظاهرة بوصفها حدثاً أو عاملاً إلى ما تركته في المجال الذي وقعت فيه، وما إذا كان هذا الأثر محدوداً أو واسعاً، قوياً أو ضعيفاً، إيجابياً أو سلبياً، ومؤقتاً أو مستمراً.

ومن الناحية **المنهجية**، يتيح مفهوم " **الأثر** " للباحث تحويل النتيجة العامة إلى مظاهر ومؤشرات قابلة للفحص الميداني، بحيث لا يبقى الحديث عن النتيجة في مستوى الانطباع أو الحكم العام. كما يسمح بدراسة اختلاف الأثر بين الفئات أو البيئات أو السياقات، وتحديد درجة ظهوره وتوزيعه، وهو ما يمنح الدراسة قدرة أكبر على وصف الحصيلة وتحليلها بصورة موضوعية.

ولا يعني استخدام مفهوم " **الأثر** " أن الباحث أثبت بالضرورة علاقة سببية قطعية بين الظاهرة والنتيجة، فإثبات السببية يتوقف على طبيعة التصميم البحثي،

وضبط المتغيرات، وقوة الأدلة المستخدمة. لذلك ينبغي أن يتناسب مستوى الادعاء في عنوان الدراسة ونتائجها مع ما يسمح به المنهج المستخدم.

وعليه، فإن جوهر " **الأثر** " يتمثل في دراســــة ما خلّفته الظاهرة من تغيرات ونتائج قابلة للرصـــد والتحقق، وتحديد خصـــائص هذه الحصـــيلة وحدودها، دون الخلط بين إثبات وجود الأثر وإثبات الســـببية الكاملة وراءه. وهذا ما يمنح المفهوم دلالته المنهجية الخاصـــة عند اســـتخدامه في عناوين البحوث الســـوســـيولوجية الميدانية.

رابعاً- (الآثار) مفهوم النتائج المتعددة: وهي مجموعة النتائج أو التغيرات المتعددة التي تترتب على ظاهرة أو عامل أو حدث، وتظهر في أكثر من بُعد أو مجال من مجالات الحياة الاجتماعية.

بمعنى مكثف، يشير إلى مجموعة النتائج والتغيرات التي تترتب على ظاهرة أو حدث أو عامل اجتماعي، وتمتد إلى أكثر من بُعد أو مجال في الحياة الاجتماعية.

*** أي أن الباحث لا يبحث عن نتيجة واحدة محددة، وإنما يسأل: ما النتائج التي ترتبت على الظاهرة، وفي أي مجالات ظهرت، وكيف تجلت؟**

وعندما نستخدم الجمع:

آثار الهجرة في المجتمع المحلي.... فإننا لا نحصر أنفسنا في نتيجة واحدة.

فقد نبحث في: **الآثار الاقتصادية + الاجتماعية + الثقافية + الديموغرافية + الأسرية**... لكن هنا توجد مشكلة منهجية ينبغي الانتباه إليها: كلما اتسع استعمال " **الآثار** "، اتسع مجال الدراسة.

بمعنى أدق، كلما اتسع استعمال " **الآثار** "، اتسع مجال الدراسة، لأن الباحث لا يركز على نتيجة واحدة أو بُعد محدد، وإنما يتجه إلى رصد مجموعة من النتائج والتغيرات التي قد تمتد إلى أبعاد ومجالات متعددة من الظاهرة الاجتماعية. وبذلك يصبح مفهوم " **الآثار** " أكثر شمولاً من " **الأثر** "، ويقتضي تحديد الأبعاد التي ستتناولها الدراسة حتى يبقى نطاقها واضحاً وقابلاً للبحث والتحليل.

وكما أن اتساع مفهوم " **الآثار** " ينعكس على التصميم المنهجي، فكلما تعددت النتائج والأبعاد التي يسعى الباحث إلى دراستها، احتاج إلى مؤشرات وأدوات وبيانات أكثر تنوعاً، وإلى قدرة تحليلية تسمح بتمييز الآثار المختلفة وعدم دمجها في نتيجة عامة واحدة. لذلك ينبغي أن يكون اتساع المفهوم متناسباً مع حدود الدراسة وإمكاناتها الميدانية والمنهجية.

– مثال: **الآثار الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للهجرة**

يحتاج إلى تصميم وأداة وعينة ووقت أكبر من: **أثر الهجرة في التماسك الاجتماعي.** لذلك يجب الانتباه أن " **الآثار** " ليست مجرد جمع لغوي لـ " **الأثر** "، بل غالباً تشير إلى تعدد مجالات النتائج.

– **الدراسات المناسبة لمفهوم " الآثار ":**

1. **الدراسات الوصفية – التحليلية:** تناسب دراسة الآثار عندما يكون الهدف رصد النتائج المترتبة على الظاهرة، وتصنيفها، ثم تحليل طبيعتها وتوزيعها والعوامل المرتبطة بها.
2. **الدراسات المقارنة:** تناسب عندما يريد الباحث مقارنة الآثار بين جماعات أو مناطق أو مجتمعات أو فترات زمنية مختلفة، للكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بينها.
3. **دراسات الحالة:** تناسب عندما يكون الهدف دراسة الآثار بعمق داخل حالة اجتماعية محددة، مثل مؤسسة أو جماعة أو مجتمع محلي، وفهم كيفية ظهور النتائج وتفاعلها داخل سياقها.

4. **الدراسات الكمية متعددة المتغيرات:** تناسب عندما يريد الباحث قياس عدة آثار في الوقت نفســــه، وتحديد حجمها، واختبار ارتباطها بعدة متغيرات، مثل قياس الآثار الاقتصادية والاجتماعية والنفسية لظاهرة معينة.
5. **الدراســـــات المختلطة:** تناســـــب عندما يحتاج الباحث إلى قياس الآثار وتحديد حجمها كمياً، ثم فهم طبيعتها وكيفية ظهورها وتفســــيرها نوعياً، فتجمع بين اتساع القياس وعمق التفسير.

وقد تصبح الدراسة **شبه تجريبية** إذا كان الباحث يقيس آثار تدخل أو سياسة أو برنامج عبر الزمن.

– **مثال آخر**: الآثار الاجتماعية والاقتصادية للهجرة على المجتمع المحلي

في هذا الســــياق لا يدرس الباحث " **كيف أثرت الهجرة** " بوصـــــفها عملية ديناميكية، وإنما يرصـــــــد ما خلّفته الهجرة من نتائج، كالتغير في العلاقات الاجتماعية، أو أنماط العمل، أو مستوى الدخل، أو البنية الأسرية.

– لذلك يمكننا ضـــــبط المفهوم على اعتبار أن **الآثار** تعني **النتائج المتعددة المترتبة على ظاهرة**، والتي يمكن أن تظهر في أبعاد أو مجالات اجتماعية مختلفة.

والفرق الدقيق:

- **التأثير: يركز على عملية التغيير ومسارها: كيف ولماذا يحدث التغيير؟**
- **الأثر: يركز على نتيجة محددة ترتبت على الظاهرة.**

- **الآثار: يركز على تعدد النتائج وتنوع مجالاتها.**

- **مثال واحد يوضح الثلاثة:**

1. تأثير الهجرة في الأسرة أي كيف غيّرت الهجرة العلاقات والأدوار الأسرية؟
2. أثر الهجرة في الأسرة أي ما النتيجة التي تركتها الهجرة في بنية الأسرة؟
3. آثار الهجرة في المجتمع أي ما النتائج الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والديموغرافية التي ترتبت على الهجرة؟

- **خلاصة القول**: إن مفهوم " **الآثار** " لا يعني ببساطة مجرد جمع الأثر لغوياً، وإنما يشير منهجياً إلى اتساع وحدة التحليل من نتيجة محددة إلى مجموعة من النتائج المترابطة والمتداخلة التي قد تمتد إلى أكثر من مستوى من مستويات الحياة الاجتماعية. ويتيح هذا المفهوم للباحث تتبع ما تتركه الظاهرة من نتائج مباشرة وغير مباشرة، آنية أو ممتدة، ظاهرة أو كامنة، وما قد ينشأ عنها من تحولات متعاقبة في السلوك والعلاقات والمواقف والبنى الاجتماعية. لذلك، فإن اختيار الآثار في عنوان البحث يدل على رغبة في دراسة المجال الأوسع للنتائج التي تنتج عن الظاهرة، وليس الاكتفاء بتحديد أثر واحد أو نتيجة منفردة، وهو ما يجعل المفهوم أكثر اتساعاً في الدلالة وأكثر ملاءمة للبحوث التي تتناول الظاهرة في تعدد نتائجها وتشابكها الاجتماعي.

خامســـاً- (**العلاقة**) **المفهوم الارتباطي**: العلاقة هي حالة الارتباط أو الترابط بين متغيرين أو أكثر، بحيث يرتبط التغير في أحدها بالتغير في الآخر، دون أن يعني ذلك بالضرورة أن أحد المتغيرات يُحدث الآخر أو يسبب تغيره.

أو هي نمط من الترابط بين متغيرات أو ظواهر اجتماعية يكشـــف عن كيفية اقترانها ببعضـــها، من حيث اتجاه الارتباط وقوته وطبيعته، دون افتراض مســـبق لوجود علاقة سببية بينها.

- **مثال توضحي:** العلاقة بين المستوى التعليمي والدخل:

قد تكشـــف الدراســـة وجود علاقة بين المســـتوى التعليمي والدخل، فكلما ارتفع المســـتوى التعليمي، ارتفع الدخل في المتوســـط. لكن وجود هذه العلاقة لا يعني بالضـرورة أن التعليم وحده يحدث ارتفاع الدخل أو يسبب تغيره، فقد تتدخل عوامل أخرى، مثل: **المهنة، والخبرة، والمهارات، والظروف الاقتصادية والاجتماعية.**

وهذا المثال يوضـح لنا بدقة **أن العلاقة تكشـف الارتباط بين متغيرين، لكنها لا تثبت السببية بينهما.**

ففي **الدراسـات السـوسـيولوجية**، يسـتخدم مفهوم " **العلاقة** " عندما يكون هدف الباحث الكشـــف عن طبيعة الارتباط بين الظواهر أو المتغيرات، واتجاهه وقوته وشكله، وليس إثبات أن أحد المتغيرات يُحدث الآخر.

مثلاً: العلاقة بين المستوى التعليمي والمشاركة السياسية لدى الشباب

في هذا السياق، يسأل الباحث: **هل توجد علاقة بين المستوى التعليمي والمشاركة السياسية؟**

- وما اتجاه هذه العلاقة؟
- وما قوتها؟
- وهل تختلف باختلاف متغيرات أخرى؟

فإذا وجد الباحث أن ارتفاع المستوى التعليمي يرتبط بارتفاع المشاركة السياسية، فهذا يثبت وجود علاقة، لكنه لا يكفي وحده للقول إن المستوى التعليمي سبب ارتفاع المشاركة السياسية، فقد تتدخل عوامل أخرى مثل البيئة الأسرية، والوضع الاقتصادي، والثقافة السياسية.

لذلك يمكن ضبط المفهوم منهجياً: **العلاقة** هي مفهوم ارتباطي يدرس كيفية اقتران متغير أو ظاهرة بمتغير أو ظاهرة أخرى، من حيث وجود الارتباط واتجاهه وقوته، دون افتراض السببية بالضرورة.

والفرق الأساسي عن المفاهيم السابقة:

1. **العلاقة: هل يرتبط X بـY ؟ وكيف؟**
2. **التأثير: كيف يُحدث X تغيراً فيY ، وما آلية هذا التغيير؟**
3. **الأثر: ما النتيجة التي خلّفها X فيY ؟**
4. **الآثار: ما مجموعة النتائج التي ترتبت على X في مجالات متعددة؟**

ولهذا فإن " **العلاقة** " أكثر حياداً من " **التأثير** " من الناحية السببية، وتناسب بصورة خاصة الدراسات الارتباطية والوصفية – التحليلية والمسحية، ويمكن أن تكون جزءاً من دراسات تفسيرية أو مختلطة أيضاً.

– **الدراسات المناسبة لمفهوم " العلاقة ":**

1. **الدراسات الوصفية– التحليلية:** تناسب دراسة العلاقة عندما يريد الباحث وصف متغيرين أو أكثر ثم تحليل طبيعة الارتباط بينها واتجاهه، دون افتراض أن أحدها سبب للآخر.
2. **الدراسات الارتباطية:** وهي الأكثر ارتباطاً بالمفهوم، لأنها تركز على قياس قوة العلاقة واتجاهها بين المتغيرات، مثل العلاقة بين المستوى التعليمي والمشاركة السياسية.
3. **الدراسات المسحية:** تناسب عندما يريد الباحث دراسة العلاقة بين المتغيرات لدى عينة واسعة من أفراد المجتمع باستخدام الاستبيانات والمقاييس، ثم تحليل البيانات إحصائياً.
4. **الدراسات المقارنة:** تستخدم لدراسة اختلاف العلاقة بين المتغيرات باختلاف الجماعات أو المجتمعات أو السياقات، مثل مقارنة العلاقة بين التعليم والمشاركة السياسية لدى الشباب في الريف والحضر.
5. **الدراسات المختلطة:** تناسب عندما يريد الباحث قياس العلاقة كمياً ثم تفسير طبيعتها وأسبابها أو سياقها نوعياً، بما يجمع بين قياس الارتباط وفهمه اجتماعياً.

– **ملاحظة منهجية:** إن مفهوم " **العلاقة** " لا يقتصـــــر على هذه التصــــاميم، فقد يظهر في دراســــات أخرى، لكن هذه هي الأكثر ملاءمة له، لأن " **العلاقة** " في جوهرها مفهوم ارتباطي لا سببي بالضرورة.

- **خلاصــــة القول**: إن مفهوم " **العلاقة** " لا يشـــير إلى مجرد وجود ارتباط بين ظاهرتين أو متغيرين، وإنما يعبر عن طبيعة هذا الارتباط وكيفية تشــكله واتجاهه ودرجة تفاعله داخل الواقع الاجتماعي. ولذلك، فإن اختيار مفهوم العلاقة في عنوان البحث يوسع السؤال البحثي من دراسة ظاهرة في ذاتها إلى الكشف عن الروابط التي تجمعها بظاهرة أخرى، وما إذا كان هذا الارتباط يأخذ شـــكلاً تأثيرياً أو تفســـيرياً أو ارتباطياً أو تفاعلياً. ومن ثم، فإن مفهوم العلاقة يوجه الباحث منهجياً إلى دراســة بنية الارتباط بين الظواهر، وتحديد طبيعتها وحدودها وشــروط تشــكلها، وهو ما يجعل دلالته في عنوان البحث مؤشــراً واضــحاً إلى أن موضــوع الدراســـة يقوم على فهم الترابط بين الظواهر الاجتماعية، لا على تحليل كل منها بصورة منفردة.

سادساً- (العوامل) مفهوم التفسير متعدد العوامل: وهو مفهوم يشـــير إلى مجموعة المتغيرات أو الظروف أو المؤثرات التي ترتبط بوجود ظاهرة اجتماعية أو تشكلها أو اتجاهها أو مستواها، بحيث لا تُفسر الظاهرة بعامل واحد، وإنما بمجموعة من العوامل المتفاعلة أو المتضافرة.

في هذا الســـياق، عندما يســـتخدم الباحث " **العوامل** " في عنوان دراســـة سوسيولوجية، فهو يفترض أن الظاهرة محل الدراسة متعددة التحديدات، وأن فهمها يتطلب البحث في أكثر من متغير أو شرط يمكن أن يسهم في تفسيرها.

مثلاً: العوامل الاجتماعية المؤثرة في التسرب المدرسي

هنا لا يبحث الباحث عن " **أثر**" عامل واحد، وإنما يبحث في مجموعة العوامل التي يمكن أن تسهم في تفسير التسرب، مثل الوضع الاقتصادي للأسرة، المستوى التعليمي للوالدين، البيئة المدرســـية، جماعة الأقران، وبعد المدرســـة عن مكان السكن.

والسؤال المركزي يصبح: **ما العوامل المرتبطة بالظاهرة، وما مدى إسهام كل منها في تفسيرها؟**

– **جوهر مفهوم العوامل** يشـير إلى تعدد المتغيرات أو الشـروط المرتبطة بتفسـير الظاهرة المدروسة.

وهو يختلف عن " **العلاقة** "، فالعلاقة تبحث في الارتباط بين متغيرين أو أكثر، بينما " **العوامل** " توســـــع مجال البحث إلى مجموعة من المتغيرات التي يمكن أن تسهم مجتمعة في تفسير ظاهرة معينة.

ويختلف أيضـــاً عن " **التأثير** "، لأن " **العوامل** " لا تفترض بالضــــرورة أن كل عامل يحدث الظاهرة بصــورة ســببية مباشــرة، بل يمكن أن تكون العوامل مفســرة، مرتبطة، مساعدة، أو مشروطة بحسب تصميم الدراسة ومستوى الأدلة.

ولهذا فإن عنوان: **العوامل المرتبطة بالتســــرب المدرســــي** أكثر تحفظاً من: **العوامل المؤثرة في التســرب المدرســي.....** لأن كلمة " **المؤثرة** " تضــيف ادعاءً سببياً إلى مفهوم العوامل.

أما منهجياً، فمفهوم " **العوامل** " ينسجم بصورة خاصة مع الدراسات الوصفية – التحليلية، والدراسات المسحية، والدراسات التفسيرية، والدراسات المقارنة، والدراسات المختلطة، ويمكن أن يستخدم في النماذج الإحصائية متعددة المتغيرات عندما يريد الباحث تقدير الإسهام النسبي للعوامل المختلفة في تفسير الظاهرة.

– الدراسات المناسبة لمفهوم " العوامل ":

1. **الوصفية – التحليلية:** تحديد العوامل ووصفها وتحليل علاقتها بالظاهرة.
2. **المسحية / الارتباطية:** قياس ارتباط عدة عوامل بالظاهرة.
3. **التفسيرية:** بناء تفسير لكيفية تفاعل العوامل في إنتاج الظاهرة.
4. **المقارنة:** معرفة اختلاف أهمية العوامل بين مجموعات أو مجتمعات.
5. **دراسة الحالة:** فهم تفاعل العوامل داخل حالة اجتماعية محددة.

6. **الاستطلاعية:** اكتشاف العوامل عندما تكون غير معروفة أو غير محددة مسبقاً.

أما **التجريبية وشبه التجريبية** فتناسب " **العوامل** " بدرجة أقل، إلا إذا كان الباحث يختبر عاملاً أو تدخلاً محدداً.

- **القاعدة المهمة:**

- العوامل المرتبطة = **علاقة**
- العوامل المفسرة = **تفسير**
- العوامل المؤثرة = **ادعاء سببي أقوى**

لذلك كلمة " **العوامل** " في ذاتها لا تعني السببية، الذي يحدد مستوى الادعاء هو وصف العلاقة بين العامل والظاهرة. مثلاً: **العوامل الاجتماعية المؤثرة في التسرب المدرسي**

في هذا السياق، لا يبحث الباحث في عامل واحد، بل في مجموعة من الشروط والمتغيرات التي ترتبط بالظاهرة أو تسهم في تفسيرها، مع النظر إلى كيفية اجتماعها أو تفاعلها في تشكيل الظاهرة. فمثلاً، عند **دراسة عوامل التسرب المدرسي**، يمكن تناول:

- **المستوى الاقتصادي:** يبحث في قدرة الأسرة على توفير الاحتياجات التعليمية، ومدى تأثير الضغوط الاقتصادية والحاجة إلى العمل في استمرار الطالب في الدراسة.

- **تعليم الوالدين:** يبحث في مدى ارتباط المستوى التعليمي للوالدين بمتابعة الأبناء وتعزيز قيم التعليم وتقديم الدعم الدراسي لهم.
- **البيئة الأسرية:** تتناول طبيعة العلاقات داخل الأسرة، والاستقرار الأسري، وأساليب التنشئة، ومستوى الدعم أو الضغوط التي يتعرض لها الطالب.
- **المدرسة:** تبحث في البيئة التعليمية، والعلاقة بين المعلمين والطلاب، وأساليب التدريس، والانضباط، والخدمات التعليمية، ومدى قدرة المدرسة على الاحتفاظ بالطلاب.
- **جماعة الأقران:** تبحث في تأثير علاقات الطالب بأقرانه والقيم والسلوكيات السائدة بينهم، ومدى تشجيع الجماعة على الاستمرار في التعليم أو الانقطاع عنه.

وبذلك لا ينظر مفهوم " **العوامل** " إلى كل متغير بصورة منفردة فقط، وإنما يتيح دراسة تعدد الشروط الاجتماعية وتفاعلها في تفسير الظاهرة. لكن بالمقابل يجب الحذر من شيء: عبارة " **العوامل المؤثرة** " أقوى من مجرد " **العوامل المرتبطة** "، لأن كلمة " **مؤثرة** " تحمل دلالة تفسيرية وسببية أكبر.

- **خلاصة القول**: يشير مفهوم " **العوامل** " إلى مجموعة الظروف والمتغيرات والمؤثرات التي تسهم في تشكيل الظاهرة الاجتماعية أو تفسير حدوثها وتطورها، ولذلك فهي أوسع من البحث عن سبب واحد مباشر.

ويكشــف اختيار هذا المفهوم في عنوان البحث عن توجه الباحث نحو تحليل تعدد المؤثرات وتداخلها، والكشـف عن الأدوار النسـبية التي تؤديها في تشـكيل الظاهرة ضمن سياقها الاجتماعي.

ومن ثم، فإن مفهوم العوامل يوجه الســؤال البحثي نحو تفســير الظاهرة من خلال شـبكة من المؤثرات المتفاعلة، ويقتضــي منهجياً النظر إليها بوصـفها نتاجاً لتفاعل أكثر من متغير، لا نتيجة لعامل منفرد.

ســـابعاً- (المحددات) المفهوم التفســـيري البنيوي: المحددات هي مجموعة المتغيرات أو الشـــروط أو الســـياقات التي تضـــبط مســـتوى الظاهرة الاجتماعية أو اتجاهها أو شكلها، وتساعد على تفسير لماذا تظهر الظاهرة بدرجة معينة أو تأخذ مساراً معيناً.

وجوهر المفهوم يختلف عن " **العوامل** ". فالعامل قد يكون متغيراً مرتبطاً بالظاهرة أو مساهماً فيها، أما " **المحدد** " فيوحي بأن للمتغير قدرة تفسيرية أعمق في تشكيل الظاهرة أو تحديد مستواها واتجاهها.

مثلاً: محددات المشاركة السياسية لدى الشباب

في هذا السياق، لا يكتفي الباحث بالسؤال: **ما العوامل المرتبطة بالمشاركة؟** بل يبحث في الشـــروط التي تجعل المشـــاركة مرتفعة أو منخفضـــة، وما الذي يفســـر اختلاف مســـتوياتها واتجاهاتها، مثل التعليم، والوضـــع الاقتصـــادي، والثقة بالمؤسسات، والبيئة السياسية، والتنشئة السياسية.

- **الدراسات المناسبة لمفهوم " المحددات "**:

1. **الدراســـة الوصـــفية – التحليلية:** مناســـبة لتحديد المتغيرات التي ترتبط بمستوى الظاهرة وتحليل وزنها وعلاقاتها.
2. **الدراســـة التفســـيرية:** هي الأكثر ملاءمة، لأنها تبحث في كيفية تفاعل المحددات في تشكيل الظاهرة وبناء نموذج يفسرها.

3. **الدراســـة المقارنة:** مناســـبة جداً عندما يريد الباحث معرفة لماذا تختلف الظاهرة بين مجتمعين أو مجموعتين، وما المحددات التي تفســـر هذا الاختلاف.
4. **الدراســـة المســـحية والارتباطية:** يمكن اســـتخدامها لتحديد المحددات إحصائياً، خصوصاً من خلال تحليل عدة متغيرات في وقت واحد، لكن يجب الحذر من تحويل الارتباط إلى سببية.
5. **دراسة الحالة:** مناسبة عندما تكون المحددات مرتبطة بسياق اجتماعي أو مؤسسي محدد، ويريد الباحث فهم كيفية تفاعلها داخل هذا السياق.
6. **الدراســـة المختلطة:** مناســـبة عندما يحتاج الباحث إلى تحديد المحددات كمياً، ثم فهم آليات عملها وكيفية تفاعلها نوعياً.

- الفرق الجوهري عن " **العوامل** ": يمكن ضبط الفرق هكذا:

- **العوامل:** ما يرتبط بالظاهرة أو يسهم في تفسيرها.
- **المحددات:** ما يفســـر مســـتوى الظاهرة أو اتجاهها أو اختلافها، ضـــمن منظومة من الشروط والمتغيرات.

لذلك فإن عنوان: **العوامل المرتبطة بالمشـــاركة الســـياســـية... أكثر ارتباطاً بالكشـــف عن المتغيرات المصـــاحبة للظاهرة. بينما: محددات المشـــاركة الســـياسـية**... يوحي بأن الدراسـة تريد الوصـول إلى البنية التفسـيرية التي تحدد مستوى المشاركة واتجاهها.

ولهذا يعد مفهوم " **المحددات** " أكثر ملاءمة للدراسات التحليلية والتفسيرية والمقارنة، خصوصاً عندما يكون الهدف تجاوز مجرد وصف المتغيرات إلى تفسير لماذا تتخذ الظاهرة شكلاً أو مستوى معيناً.

- **خلاصة القول**: يشير مفهوم " **المحددات** " إلى مستوى تحليلي يتجاوز مجرد رصد المتغيرات المرتبطة بالظاهرة، ليتجه إلى البحث في البنية التي تنتظم ضمنها هذه المتغيرات، وتفسر تفاوت الظاهرة في مستواها أو اتجاهها. ولذلك فإن استخدامه في عنوان الدراسة يفترض أن الباحث لا يريد فقط معرفة ما يوجد إلى جانب الظاهرة، بل يريد الكشف عن الشروط التي تجعلها تتخذ صورة معينة أو تختلف من سياق إلى آخر.

وتنبع قوته المنهجية من أنه يسمح ببناء تفسير متعدد المتغيرات بدل إرجاع الظاهرة إلى متغير منفرد، مع إمكانية اختبار الوزن النسبي لكل محدد وعلاقته ببقية المحددات. ولهذا يكتسب المفهوم أهمية خاصة في الدراسات التي تسعى إلى الانتقال من وصف الظاهرة إلى تفسير بنيتها وشروط تشكلها وتباينها.

ومن ثم، فإن اختيار " **المحددات** " في عنوان البحث يرفع سقف التوقع المنهجي للدراسة، إذ ينبغي أن يكون تصميمها قادراً على تقديم تفسير منظم ومدعوم بالأدلة، لا مجرد قائمة بالمتغيرات المصاحبة للظاهرة. وهذه النقطة هي جوهر التمييز بين " **العوامل** " و" **المحددات** "، فالعوامل توسع دائرة البحث، أما المحددات فتتجه نحو بناء تفسير أكثر تنظيماً للظاهرة.

ثامناً- (الانعكاســات) مفهوم انتقال النتائج إلى مجال آخر:

يشـير مفهوم **الانعكاسـات** إلى النتائج أو التغيرات التي تنتقل من ظاهرة أو تحول اجتماعي إلى مجال آخر، فتظهر فيه بصــورة مباشــرة أو غير مباشــرة. ويتركز المفهوم على كيفية امتداد تداعيات الظاهرة من مجالها الأصـــلي إلى مجالات اجتماعية أخرى.

مثلاً: انعكاسات التحول الرقمي على العلاقات الأسرية

لا يدرس الباحث التحول الرقمي في ذاته، بل يبحث فيما أحدثه هذا التحول في مجال الأسـرة: أنماط التواصـل، العلاقات بين أفراد الأسـرة، توزيـع الوقت، الأدوار الأسرية وغيرها.

- **الدراسات المناسبة لمفهوم " الانعكاسات ":**

1. **الوصفية – التحليلية:** لرصد مظاهر الانعكاس وتحليل صورها.
2. **التفسيرية:** لفهم آليات انتقال التغير من المجال الأول إلى المجال الثاني.
3. **المقارنة:** لمقارنة انعكاسات الظاهرة بين جماعات أو مجتمعات مختلفة.
4. **دراسة الحالة:** لفهم الانعكاسات بعمق داخل مؤسسة أو مجتمع محدد.
5. **المختلطة:** عندما يحتاج الباحث إلى قياس حجم الانعكاســات ثم تفســير كيفية ظهورها.

أما الدراسة التجريبية وشبه التجريبية فتكون مناسبة عندما يكون " **الانعكاس** " ناتجاً عن تدخل أو تغير يمكن قياسه ومقارنته، لكنها ليست الاستخدام الأكثر شيوعاً للمفهوم.

– الفرق عن " **الأثر** " نجد أن الأثر يركز على النتيجة التي خلّفتها الظاهرة. أما **الانعكاسات** تركز على امتداد تلك النتيجة وانتقالها إلى مجال آخر.

مثلاً: أثر التحول الرقمي في العمل ... **ما النتائج التي تركها التحول الرقمي في العمل؟** ... انعكاسات التحول الرقمي على الأسرة ... **كيف امتد التحول الرقمي من المجال التكنولوجي / المهني إلى الحياة الأسرية وأعاد تشكيل بعض جوانبها؟** ... لذلك فإن جوهر " **الانعكاسات** " هو الانتقال والامتداد بين المجالات الاجتماعية، وليس مجرد وجود نتيجة.

- **خلاصة القول**: تعبر " **الانعكاسات** " عن الامتدادات التي تتركها الظاهرة في مجالات أخرى من الواقع الاجتماعي، فهي لا تتجه إلى النتيجة المباشرة للظاهرة بقدر ما تبحث في كيفية انتقال تداعياتها إلى مواقف أو سلوكيات أو علاقات أو أوضاع اجتماعية أخرى. ومن ثم، فإن اختيار مفهوم الانعكاسات في عنوان البحث يدل على اتساع مجال السؤال البحثي من الظاهرة ذاتها إلى ما تخلفه من تحولات ممتدة ومتداخلة، وما تكشفه هذه التحولات من تفاعل بين الظاهرة وسياقها الاجتماعي. لذلك، يوجه المفهوم الباحث منهجياً إلى تتبع مسارات الامتداد والتداعي، وفهم الكيفية التي تنتقل بها نتائج الظاهرة من مجالها المباشر إلى مجالات اجتماعية أخرى.

تاسعاً- (التداعيات) مفهوم النتائج الممتدة والمتفرعة: التداعيات هي مجموعة النتائج الممتدة والمتفرعة التي تنشأ عن ظاهرة أو حدث اجتماعي، وتتجاوز نتيجته المباشرة لتؤثر في مجالات أو مستويات أخرى من الحياة الاجتماعية. ويهتم المفهوم بتتبع سلسلة النتائج التي تتولد وتتراكم نتيجة الظاهرة.

- مثلاً: **تداعيات البطالة على الاستقرار الأسري**

في هذا السياق لا يقتصر الباحث على معرفة أثر البطالة المباشر في دخل الأسرة، بل يبحث في النتائج المتتابعة التي قد تنشأ عنها، مثل الضغوط الاقتصادية، وتغير الأدوار الأسرية، وتوتر العلاقات، وتراجع المشاركة الاجتماعية.

- **الدراسات المناسبة لمفهوم " التداعيات ":**

1. **الوصفية – التحليلية:** لرصد التداعيات وتصنيفها وتحليل ترابطها.
2. **التفسيرية:** لفهم كيف تتولد التداعيات وكيف ينتقل تأثير الظاهرة من نتيجة إلى أخرى.
3. **دراسة الحالة:** مناسبة لتتبع التداعيات بعمق داخل أسرة أو مؤسسة أو مجتمع محدد.
4. **الدراسات المقارنة:** لمعرفة اختلاف التداعيات باختلاف السياقات الاجتماعية.
5. **الدراسات المختلطة:** لقياس حجم التداعيات كمياً وفهم مساراتها نوعياً.

– الفرق عن " الأثر " و" الانعكاسات "...

الأثر: النتيجة التي خلّفتها الظاهرة.

– **الانعكاسات:** امتداد نتائج الظاهرة إلى مجال آخر.
– **التداعيات:** سلسلة من النتائج الممتدة والمتفرعة والمتراكمة التي قد تتولد من النتيجة الأولى.

مثال: البطالة أدت إلى... انخفاض الدخل ... ضغط أسري ... توتر العلاقات ... تراجع الاستقرار الأسري... إلخ

هنا لا نتحدث فقط عن أثر البطالة، وإنما عن تداعياتها، لأننا نتتبع سلسلة نتائج متتابعة ومتفرعة.

إذن جوهر المفهوم هو: **التداعيات** وتعني النتائج المتسلسلة والممتدة والمتفرعة التي تتولد عن ظاهرة وتتجاوز أثرها المباشر.

- **خلاصة القول**: يعبر مفهوم " **التداعيات** " عن النتائج التي لا تتوقف عند الأثر المباشر للظاهرة، وإنما تمتد وتتفرع وتتراكم لتنتج عنها نتائج أخرى في مجالات أو مستويات اجتماعية مختلفة. ولذلك يهتم الباحث بتتبع سلسلة النتائج ومسار انتقالها من نتيجة إلى أخرى، وفهم كيفية تحول النتيجة الأولى إلى نتائج لاحقة ومتداخلة.

وبذلك يختلف المفهوم عن الأثر الذي يركز على الحصيلة المباشرة، وعن الانعكاسات التي تشير إلى انتقال النتيجة إلى مجال آخر، فالتداعيات تركز على

تتابع النتائج وترابطها وتفرعها وتراكمها. وفي نهاية المطاف تشـــير التداعيات إلى سـلسـلة النتائج الممتدة والمتفرعة والمتراكمة التي تتولد عن الظاهرة وتتجاوز أثرها المباشر.

عاشـــراً- (الاتجاهات) مفهوم المواقف والميول نحو الظواهر:

الاتجاهات هي مفهوم يشير إلى الميول والمواقف التي يحملها الأفراد أو الجماعات تجاه موضوع أو ظاهرة أو فكرة معينة، والتي قد تكون إيجابية أو سلبية أو محايدة، ويمكن أن تنعكس في أحكامهم وتفضيلاتهم واستعدادهم للتعامل معها.

وعندما يستخدم الباحث " **الاتجاهات** " في عنوان دراسة سوسيولوجية، فهو لا يبحث أساساً فيما يفعله الأفراد، وإنما في موقفهم من الشيء وكيف يميلون إلى تقييمه أو التعامل معه.

- **مثال:** اتجاهات الشباب نحو العمل التطوعي

هنا يبحث الباحث في:

- مدى تقبل الشباب للعمل التطوعي.
- درجة رغبتهم في المشاركة فيه.
- نظرتهم إلى أهميته الاجتماعية.
- استعدادهم للمشاركة مستقبلاً.
- أسباب الاتجاه الإيجابي أو السلبي نحوه.

مثال آخر: اتجاهات الأسر نحو تعليم الفتيات... هنا لا يدرس الباحث تعليم الفتيات نفسه، وإنما يدرس مواقف الأسر منه: هل تؤيده؟ هل تتحفظ عليه؟ وما درجة قبولها له؟

ومثال ثالث: اتجاهات الشـــباب نحو الهجرة... يمكن أن يبحث الباحث في الميل إلى الهجرة، والرغبة فيها، وتقييمها، والاستعداد لاتخاذ قرار الهجرة.

- الفرق بين " الاتجاهات " وبعض المفاهيم القريبة

*** الاتجاهات ≠ التصورات**

- **تصـورات الشـباب حول العمل التطوعي...** تبحث في كيف يفهم الشـباب العمل التطوعي وما الصورة الذهنية التي يحملونها عنه.
- أما **اتجاهات الشــــباب نحو العمل التطوعي:** فتبحث في موقفهم منه ودرجة قبولهم أو رفضهم أو ميلهم إليه.

- **الاتجاهات ≠ الممارسات**

- ممارســات الشــباب في العمل التطوعي... تبحث فيما يفعلونه فعلياً أي عدد مرات المشاركة، نوع الأنشطة، مدة المشاركة... إلخ.
- بينما الاتجاهات تبحث في مواقفهم وميولهم، وقد يكون الشــخص إيجابي الاتجاه نحو العمل التطوعي لكنه لا يمارسه.

- الدراسات المناسبة لمفهوم " الاتجاهات ":

1. **الدراسـة المسـحية:** الأنسـب عندما يريد الباحث قياس اتجاهات عدد كبير من الأفراد باستخدام استبيان أو مقياس اتجاهات.
2. **الدراسـة الوصـفية:** لوصـف طبيعة الاتجاهات وتوزيعها: إيجابية، سـلبية، محايدة، ودرجات قوتها.

3. **الدراسة الاستطلاعية:** مناسبة عندما يكون الهدف الأولي اكتشاف طبيعة المواقف والميول تجاه موضوع جديد أو غير مدروس بما يكفي.
4. **الدراسة المقارنة:** مناسبة لمقارنة الاتجاهات بين فئات مختلفة، مثل: اتجاهات الشباب والبالغين نحو العمل التطوعي: دراسة مقارنة.

وقد تستخدم الدراسة التحليلية عندما يبحث الباحث عن المتغيرات المرتبطة باختلاف الاتجاهات، مثل: **العمر، والتعليم، والجنس، والمستوى الاقتصادي.**

- **خلاصة القول**: تعبر " **الاتجاهات** " عن مواقف وميول الأفراد أو الجماعات تجاه موضوع أو ظاهرة معينة، من حيث درجة القبول أو الرفض أو التفضيل، والاستعداد لتبني موقف أو سلوك معين تجاهها. ولا تقتصر دراسة الاتجاه على معرفة الموقف في صورته العامة، بل يمكن أن تتناول قوته، ودرجة ثباته، وتباينه بين الفئات الاجتماعية، والعوامل المرتبطة بتشكله أو اختلافه.

وبالتالي، عندما يظهر مفهوم " **الاتجاهات** " في عنوان سوسيولوجي، فإن السؤال الأساسي هو: **كيف ينظر الفاعلون إلى الظاهرة؟ وما موقفهم منها؟ وإلى أي اتجاه تميل مواقفهم؟** ويصبح اهتمام الباحث منصباً على الكشف عن أنماط المواقف السائدة وتوزيعها ودرجة ميلها، بما يسمح بفهم الطريقة التي يتعامل بها الفاعلون اجتماعياً وفكرياً مع الموضوع المدروس.

حادي عشـــر- (التصـــورات) مفهوم الفهم والمعنى والصـــورة الذهنية: التصورات هي مجموعة الأفكار والمعاني والصور الذهنية التي يبنيها الأفراد أو الجماعات حول ظاهرة أو موضـــوع أو مفهوم معين، من خلال خبراتهم وتفاعلهم الاجتماعي والثقافي.

وعندما يستخدم الباحث مفهوم " **التصـورات** " في عنوان دراسـة سـوسـيولوجية، فإنه يهتم أســـاســـاً بكيفية فهم الفاعلين للظاهرة، والمعاني التي يمنحونها لها، والصورة التي تتشكل لديهم عنها، وليس فقط بموقفهم المؤيد أو الرافض لها.

- مثال: تصورات الشباب حول مفهوم المواطنة

يسأل الباحث:

- ماذا تعني المواطنة بالنسبة إلى الشباب؟
- كيف يعرّفون المواطن الصالح؟
- ما العناصر التي يربطونها بالمواطنة؟
- هل يرونها حقوقاً أم واجبات أم انتماءً أم مشاركة؟
- كيف تشكلت هذه المعاني لديهم؟

في هذا الســـياق الباحث **يبحث عن البنية المعنوية والفكرية للمفهوم لدى الفاعلين.**

مثال آخر: تصورات الأسر حول التعليم عن بُعد

لا يقتصر السؤال على هل الأسر تؤيد التعليم عن بُعد أم ترفضه، وإنما:

كيف تفهم الأســـر التعليم عن بُعد؟ وما الصـــورة التي تكونت لديها عنه؟ وما المعاني التي تربطه به؟

- **الفرق بين " التصورات " و" الاتجاهات "** هذا الفرق مهم جداً وهو كالآتي:

- **التصورات:** كيف يفهم الفرد الظاهرة؟ وما المعنى الذي يمنحه لها؟
- **الاتجاهات:** كيف ينظر أو يميل أو يتخذ موقفاً من الظاهرة؟

فقد تكون لدى الشـــخص تصـــورات إيجابية عن التعليم عن بُعد لأنه يراه مرناً ومفيداً، لكن اتجاهه قد يكون سلبياً لأنه لا يفضل استخدامه. أي أن التصور يمكن أن يكون أساساً يتشكل منه الاتجاه، لكنهما ليسا الشيء نفسه.

- **الفرق عن " الممارسات "**

- تصـــورات الشـــباب عن العمل التطوعي ... **ماذا يعني العمل التطوعي بالنسبة إليهم؟**
- اتجاهات الشـــباب نحو العمل التطوعي ... **هل يؤيدونه ويميلون إليه أم لا؟**
- ممارســات الشـباب في العمل التطوعي ... **ماذا يفعلون فعلياً في مجال التطوع؟**

*** إذن لدينا ثلاثة مستويات مختلفة:**

- **المعنى والفهم** ... التصورات
- **الموقف والميل** ... الاتجاهات

- **الفعل والسلوك** ... الممارسات

– **الدراسات المناسبة لمفهوم " التصورات ":**

1. **الدراسات النوعية:** من أكثر الدراسات ملاءمة، لأنها تسمح باكتشاف المعاني التي يبنيها الفاعلون من خلال المقابلات المتعمقة، ومجموعات النقاش، والملاحظة.
2. **الدراسات الاستطلاعية:** مناسبة عندما يكون الباحث يريد اكتشاف التصورات الأولية حول موضوع لم يحظى بدراسة كافية.
3. **دراسة الحالة:** مناسبة لفهم تصورات جماعة محددة داخل سياق اجتماعي أو مؤسسي معين.
4. **الدراسات الوصفية:** يمكن أن تصف أنماط التصورات وانتشارها بين فئة معينة.
5. **الدراسات الكمية:** ممكنة أيضاً، خصوصاً عندما يحول الباحث أبعاد التصور إلى مؤشرات قابلة للقياس بواسطة الاستبيان.

- **خلاصة القول**: تشير " **التصورات** " إلى المعاني والأفكار والصور الذهنية التي يبنيها الفاعلون حول ظاهرة أو موضوع معين، وكيفية فهمهم لها وتفسيرهم لمعناها ضمن سياقهم الاجتماعي والثقافي. ولا يقتصر المفهوم على معرفة ما يعتقده الفاعلون بصورة سطحية، بل يهتم بالكشف عن الإطار الذهني والمعرفي الذي من خلاله يمنحون الظاهرة معنى ويفسرونها ويحددون موقعها في خبراتهم اليومية.

وتتيح دراسة التصورات فهم تعدد المعاني والتفسيرات التي يمكن أن تحملها الظاهرة الواحدة لدى فئات اجتماعية مختلفة، والكشف عن أوجه الاتفاق والاختلاف بينها، وكيف تتشكل هذه التصورات في ضوء التجارب الشخصية، والتفاعل الاجتماعي، والثقافة، والخبرة المتراكمة. ولذلك يرتبط المفهوم بصورة خاصة بدراسة المعنى الذي ينتجه الفاعلون حول الواقع الاجتماعي، وليس بقياس موقفهم منه فقط.

وهكذا، فإن استخدام " **التصورات** " في عنوان البحث يوجه الباحث إلى دراسة كيفية بناء الفاعلين لمعنى الظاهرة وفهمها وتأويلها، ويجعل عالم المعاني والخبرات والتفسيرات التي يحملها الفاعلون جزءاً أساسياً من موضوع البحث.

ولهذا فإن عنوان: **تصورات الشباب حول المواطنة**

يقود **منهجهاً** إلى دراسة عالم المعنى والفهم الاجتماعي لدى الشباب، وليس إلى قياس مواقفهم فقط أو دراسة ممارساتهم الفعلية.

ثاني عشر- (الممارسات) ماذا يفعل الناس فعلياً؟ تشير الممارسات إلى الأفعال والسلوكيات التي يقوم بها الأفراد أو الجماعات فعلياً وبصورة متكررة أو منظمة داخل سياق اجتماعي معين، وما يرتبط بها من أنماط تصرف وعادات وطرق في استخدام الموارد والتفاعل مع الآخرين.

وعندما يستخدم الباحث " **الممارسات** " في عنوان دراسة سوسيولوجية، فهو ينتقل من سؤال ماذا يعتقد الناس أو كيف ينظرون إلى الظاهرة؟ إلى سؤال:

ماذا يفعلون فعلياً؟ وكيف يمارسون هذا الفعل؟ وفي أي سياق؟

- أمثلة: **ممارسات الشباب في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي**

في هذا السياق يدرس الباحث مثلاً: مدة الاستخدام، أوقات الاستخدام، أنواع المحتوى، أنماط التفاعل، مشاركة المعلومات، استخدام المنصات في الدراسة أو العمل أو الترفيه.

- **الممارسات الصحية لدى الأسر**... يدرس أنماط الغذاء، متابعة الفحوصات، التعامل مع المرض، استخدام الخدمات الصحية، ومصادر المعلومات الصحية.
- **ممارسات القراءة لدى طلبة الجامعات**... يدرس ماذا يقرأون، كم يقرأون، أين يقرأون، نوع المواد المقروءة، ووسائل القراءة.

- **الفرق بين " الممارسات " و" الاتجاهات " و" التصورات "** يمكن ضبطها في **ثلاثة مستويات:**

1. **التصورات** ... ماذا يفهم الناس؟
2. **الاتجاهات** ... ماذا يفضلون أو ما موقفهم؟
3. **الممارسات** ... ماذا يفعلون فعلياً؟

وقد يحدث تناقض بينها. مثلاً، قد تكون لدى الشباب تصورات إيجابية عن العمل التطوعي، ولديهم اتجاهات إيجابية نحوه، لكن ممارساتهم التطوعية محدودة. وهذا التباين نفسه قد يكون موضوعاً سوسيولوجياً مهماً.

- **الدراسات المناسبة لمفهوم " الممارسات ":**

1. **الدراسة الوصفية – التحليلية:** مناسبة جداً لوصف أنماط الممارسة وتحليل اختلافها بين الفئات.
2. **الدراسة الميدانية المسحية:** مناسبة عندما يريد الباحث قياس انتشار الممارسات وتكرارها لدى عدد كبير من الأفراد.
3. **الدراسة النوعية:** مهمة عندما يكون السؤال: كيف ولماذا يمارس الناس سلوكاً معيناً؟ ويمكن استخدام المقابلات والملاحظة لفهم الممارسة في سياقها.
4. **دراسة الحالة:** مناسبة لدراسة الممارسات داخل مؤسسة أو جماعة أو مجتمع محلي محدد بعمق.
5. **الدراسة المقارنة:** مناسبة لمقارنة الممارسات بين فئات أو مجتمعات مختلفة.

6. **الدراســـة الاســـتطلاعية:** مناســـبة عندما تكون طبيعة الممارســـات غير معروفة أو لم تُدرس بصورة كافية.

* **نقطة منهجية مهمة** " **الممارســـات** " لا تعني مجرد الســـلوك الفردي المنعزل، ففي البحث السوسيولوجي ينصب الاهتمام على السلوك كما يتشكل داخل سياق اجتماعي وثقافي ومؤسسي.

لذلك نجد أن: **ممارسـات الشـباب في اسـتخدام وسـائل التواصـل الاجتماعي. أعمق سوسيولوجياً** من مجرد السؤال عن " **عدد ساعات الاستخدام** "، لأنه يمكن أن يبحث في أنماط الاسـتخدام، والسـياقات التي تحدث فيها، والقواعد الاجتماعية التي توجهها، والمعاني التي ترتبط بها.

- **خلاصة القول**: تشير " **الممارسات** " إلى أنماط الفعل والسلوك التي يمارسها الأفراد أو الجماعات فعلياً داخل ســـياق اجتماعي معين، وكيف تتكرر وتنتظم وتكتسب شكلها من خلال التفاعل مع البيئة الاجتماعية والثقافية والمؤسسية التي تتحرك داخلها. ولذلك لا ينظر المفهوم إلى السلوك بوصفه فعلاً منفرداً، وإنما يهتم بالأنماط الســـلوكية التي تســـتقر وتتكرر وتصـــبح جزءاً من الحياة الاجتماعية اليومية.

وتتيح دراســـة الممارســـات للباحث الكشـــف عن الفجوة المحتملة بين ما يقوله الفاعلون وما يفعلونه فعلياً، وفهم كيفية انعكاس القواعد والقيم والموارد والظروف الاجتماعية في السلوك الواقعي. كما يمكن أن تكشف عن أوجه التشابه والاختلاف

في الممارســـة بين الفئات والســـياقات المختلفة، وعن كيفية تغيرها تبعاً للتحولات الاجتماعية أو المؤسسية أو الثقافية.

وبالتالي، فإن مفهوم " **الممارســـات** " يقود الدراســـة إلى الفعل الاجتماعي كما يحدث في الواقع وفي ســـياقه الفعلي، وليس إلى مجرد الأقوال أو المواقف أو التصـورات. فالسـؤال هنا لا يقتصـر على ما يعتقده الفاعلون أو ما يعلنونه، وإنما يتجه إلى ماذا يفعلون فعلاً، وكيف يفعلونه، وفي أي ســـياق، وما الأنماط التي تنتظم في ســلوكهم اليومي. ومن ثم، يكتســب المفهوم أهميته في الدراســات التي تسـعى إلى فهم السـلوك الاجتماعي المعيش بوصـفه ممارسـة فعلية داخل الواقع الاجتماعي.

- **تعليقات منهجية عامة**: بعد الوقوف على دلالات هذه المفاهيم وطبيعة الأسـئلة البحثية التي تعبر عنها، تأتي الخطوة الأهم في ترسـيخ الفهم المنهجي، وهي وضع كل مفهوم في سياق نوع الدراسة التي يكون أكثر ملاءمة لها. فاختيار المفهوم لا ينفصـل عن التصـميم المنهجي للبحث، لأن طبيعة الدراسـة تحدد نوع السؤال الذي يمكن طرحه، والمفهوم بدوره يكشف عن الاتجاه الذي سيتخذه الباحث في دراسـة الظاهرة وتحليلها. ومن هنا، فإن الربط بين نوع الدراسـة والمفهوم المسـتخدم في عنوان البحث يسـاعد الباحث والطالب على الانتقال من الاختيار اللغوي للمفاهيم إلى الاختيار العلمي والمنهجي لها، ويجعل عنوان البحث أكثر تعبيراً عن طبيعته وأهدافه وإجراءاته. وبناءً على ذلك، يمكن بيان المفاهيم الأكثر ملاءمة لكل نوع من أنواع الدراسات على النحو الآتي:

نوع الدراسة: .... المفاهيم الأكثر ملاءمة

- **وصفية – تحليلية:** دور، علاقة، عوامل، محددات، اتجاهات، ممارسات
- **اسـتطلاعية:** تصـورات، اتجاهات، ممارسـات، أبعاد الظاهرة، محددات أولية
- **دراسة حالة:** دور، ديناميات، تأثير، انعكاسات، ممارسات، تداعيات
- **تجريبية:** تأثير، أثر
- **شبه تجريبية:** تأثير، أثر
- **ارتباطية:** علاقة، ارتباط، عوامل، محددات
- **تفسيرية:** تأثير، محددات، عوامل، علاقات
- **نوعية:** دور، ديناميات، تأثير، تصورات، ممارسات، آليات

- **مختلطة:** يمكن أن تجمع بين التأثير والأثر والعوامل والمحددات بحسب التصميم

- **التعليق الأول**: هذا التوظيف ليس قاعدة ميكانيكية بحتة. فالكلمة وحدها لا تحدد المنهج، فالذي يحدد ذلك هو السؤال والتصميم.

*** الفرق بين التجريبية وشبه التجريبية في " التأثير " و" الأثر ":**

إذا كان الباحث يريد معرفة ما إذا كان عامل أو تدخل معين قد أحدث تغييراً في ظاهرة اجتماعية، فإن تصميم الدراسة يصبح حاسماً في قوة الاستنتاج السببي.

1. **الدراسة التجريبية:** في الدراسة التجريبية يتحكم الباحث في المتغير المستقل أو التدخل، ويحاول ضبط العوامل الأخرى، وغالباً يستخدم التوزيع العشوائي للمشاركين إلى مجموعة تجريبية وأخرى ضابطة.

مثال: **تأثير برنامج للتوعية المدنية في المشاركة المجتمعية للشباب**

يطبق الباحث البرنامج على المجموعة التجريبية، ثم يقارن التغير الذي حدث لديها بالمجموعة الضابطة.

وهنا يمكن دراسة التأثير بوصفه عملية تغيير، والأثر بوصفه النتيجة التي ظهرت بعد التدخل.

2. **الدراسة شبه التجريبية:** تستخدم المنطق نفسه، تدخل أو عامل محدد ... قياس التغير ... مقارنة النتائج، لكن الباحث لا يمتلك السيطرة التجريبية الكاملة، ولا يستطيع عادةً إجراء التوزيع العشوائي الكامل.

مثال: **أثر برنامج للتمكين الاقتصادي في مشاركة النساء في سوق العمل**

قد يقارن الباحث مجموعة استفادت من البرنامج بمجموعة مشابهة لم تستفد منه، أو يقارن الوضع قبل البرنامج وبعده. لذلك تستطيع شبه التجريبية تقديم أدلة على التأثير والأثر، لكن بدرجة أقل من التجربة الحقيقية من حيث قوة الاستدلال السببي.

3. **الدراسات الوصفية – التحليلية والارتباطية:** هنا لا يتحكم الباحث في العامل المدروس، بل يلاحظه كما يوجد في الواقع.

– مثال: **تأثير الفقر في التحصيل الدراسي**

لا يستطيع الباحث أن يخضع مجموعة للفقر ومجموعة أخرى لعدم الفقر لكي يختبر التأثير تجريبياً. لذلك يعتمد على بيانات واقعية ويحلل العلاقة بين الفقر والتحصيل.

وهنا يجب الحذر: وجود علاقة إحصائية لا يثبت وحده وجود تأثير سببي، فقد تتدخل عوامل أخرى مثل مستوى تعليم الوالدين أو البيئة المدرسية أو المنطقة السكنية.

لذلك قد تكون: العلاقة بين الوضع الاقتصادي والتحصيل الدراسي

أكثر تحفظاً منهجياً من: **تأثير الفقر في التحصيل الدراسي**

إلا إذا كان التصميم التحليلي والأدلة يسمحان باستدلال سببي أقوى.

جدول يوضح الفرق بينهم في صيغة مركزة، وهو كالآتي:

التصميم ونوع الدراسة / دلالاتها	التحكم في العامل	التوزيع العشوائي	قوة الاستدلال السببي	التأثير / الأثر
تجريبية	مرتفع	غالباً نعم	الأقوى	مناسب جداً
شبه تجريبية	جزئي	لا يكون كاملاً	قوي لكن أقل من التجريبية	مناسب جداً
وصفية – تحليلية	لا يوجد عادة	لا	محدودة	بحذر
ارتباطية/ مسحية	لا	لا	لا تثبت السببية بمجرد الارتباط	العلاقة أدق غالباً
دراسة حالة	لا	لا	تعتمد على طبيعة الأدلة	يمكن دراسة المسار والنتائج بعمق

- **التعليق الثاني**: إن التأثير يناسب السؤال عن عملية التغيير وكيف ولماذا حدثت، بينما الأثر يناسب السؤال عن النتيجة التي ترتبت على العامل أو التدخل.

لكن قوة استخدام أي منهما لا تأتي من الكلمة نفسها، وإنما من قدرة تصميم الدراسة على إثبات ما يدعيه العنوان.

لذلك:

- **التجريبية** ... أقوى في إثبات التأثير والأثر السببي.
- **شبه التجريبية** ... قوية في ذلك مع قيود أكبر.
- **الدراسات الرصدية** ... تكشف العلاقات والأنماط، وتحتاج إلى حذر أكبر عند استخدام اللغة السببية.

- **التعليق الثالث**: ينحصر **بالمشكلة المنهجية** فعندما يكون العنوان أقوى من تصميم الدراسة، فالمشكلة هنا أن كلمة " **تأثير** " تحمل ادعاءً يتجاوز ما تستطيع الدراسة إثباته.

فعندما يضع الباحث عنواناً: **تأثير الفقر في التسرب المدرسي...** فهو يوحي بأنه سيدرس كيف يؤدي الفقر إلى حدوث التسرب، وما الآليات التي ينتقل من خلالها هذا التأثير، ومدى إسهامه في حدوث الظاهرة.

لكن إذا كانت الدراسة تعتمد فقط على استبيان مقطعي يسأل الأسر مثلاً:

" **هل تعتقد أن الفقر سبب للتسرب المدرسي؟** "

فالباحث لم يقس تأثير الفقر فعلياً، ولم يتتبع عملية التغيير، وإنما قاس آراء المبحوثين وتصوراتهم حول العلاقة بين الفقر والتسرب.

لذلك يوجد عدم تطابق بين:

- ما يوحي به العنوان ... إثبات تأثير
- وما تقيسه الأداة ... تصورات المبحوثين حول العلاقة.

عندئذ ينبغي أن تتوافق صياغة العنوان مع طبيعة المعرفة التي أنتجتها الدراسة.

فإذا كان الباحث يقيس العلاقة بين متغيرين بالفعل، يمكن أن يكون العنوان: **العلاقة بين الوضع الاقتصادي والتسرب المدرسي**

أما إذا كان يدرس فهم الأسر لهذه العلاقة، فالأدق: **تصورات الأسر حول علاقة الوضع الاقتصادي بالتسرب المدرسي**

أما إذا كان لديه تصميم تجريبي أو شبه تجريبي وبيانات تسمح باختبار التغير الناتج عن تدخل أو عامل محدد، فيمكن عندها اســـتخدام " **تأثير** " أو " **أثر** " بدرجة أقوى.

- **القاعدة:** قوة المفهوم في العنوان يجب أن تتناسب مع قوة التصميم والأدلة التي توفرها الدراسة. فلا يجوز أن يعلن العنوان عن " **تأثير** " بينما لا تقيس الدراسة إلا " **علاقة** " أو " **تصورات** " المبحوثين عنها.

- **التعليق الرابع:** ينحصـــر بالخريطة المفاهيمية العامة، فإذا أردنا اختزال الفروق في منطق السؤال السوسيولوجي:

- عندما تسأل: ماذا يفعلX ؟ فكر في الدور.

- عندما تسأل: هل يرتبط X بـY ؟ فكر في العلاقة.

- عندما تسأل: كيف ولماذا يغير X مسارY ؟ فكر في التأثير.

- عندما تسأل: ماذا نتج عن X فيY ؟ فكر في الأثر.

- عندما تسأل: ما النتائج المتعددة التي ترتبت علىX ؟ فكر في الآثار.

- عندما تسأل: ما العوامل المرتبطة بـY ؟ فكر في العوامل.

- عندما تسأل: ما الشروط التي تفسر مستوى أو اتجاهY ؟ فكر في المحددات.

- عندما تسأل: ما الصورة التي يحملها الفاعلون عنX ؟ فكر في التصورات.

- عندما تسأل: ما المواقف التي يتبناها الفاعلون تجاهX ؟ فكر في الاتجاهات.

- عندما تسأل: ماذا يفعل الفاعلون فعلياً؟ فكر في الممارسات.

- عندما تسأل: ما النتائج الممتدة والمتفرعة عنX ؟ فكر في التداعيات.

- عندما تسأل: كيف انتقلت تغيرات X إلى مجالY ؟ فكر في الانعكاسات.

*** والقاعدة الذهبية التي أرى أنها الأهم في منهجية صياغة العنوان:**

- **لا تبدأ من السؤال:** أي كلمة تبدو أقوى في العنوان؟ بل ابدأ من السؤال التالي:

ما طبيعة المعرفة التي أريد إنتاجها عن الظاهرة؟

- إذا كنت تريد معرفة وظيفة ... **دور**.
- إذا كنت تريد معرفة مسار التغير ... **تأثير**.
- إذا كنت تريد معرفة الحصيلة ... **أثر**.
- إذا كنت تريد معرفة تعدد النتائج ... **آثار**.
- إذا كنت تريد معرفة الارتباط ... **علاقة**.
- إذا كنت تريد تفسير ما يحدد الظاهرة ... **محددات**.
- إذا كنت تريد معرفة ما يفعله الناس ... **ممارسات**.
- إذا كنت تريد معرفة كيف يفهمون الظاهرة ... **تصورات**.
- إذا كنت تريد معرفة مواقفهم منها ... **اتجاهات**.

وبذلك يصـــبح العنوان في حد ذاته انعكاســـاً للتصـــميم المنهجي، وليس مجرد تسمية جذابة لموضوع البحث.

والأهم: لا توجد كلمة " **أفضل** " مطلقاً بين دور وتأثير وأثر وآثار، توجد كلمة أدق بالنسبة إلى السؤال والتصميم ومستوى الاستدلال الذي تريد الدراسة الوصول إليه. وهذه هي النقطة التي تجعل اختيار المفهوم في العنوان قراراً منهجياً حقيقياً.

- **الخاتمة**:

إن اختيار المفهوم في عنوان الدراسة السوسيولوجية ليس مسألة لغوية، بل هو قرار منهجي يحدد زاوية دراسة الظاهرة وطبيعة السؤال ومستوى التفسير الذي تستهدفه الدراسة. فلكل مفهوم دلالته وحدوده، الدور يركز على الوظيفة والإسهام، العلاقة على الارتباط، التأثير على عملية التغيير وآلياتها، الأثر والآثار على النتائج المترتبة، العوامل على تعدد المتغيرات المساهمة، المحددات على الشروط التي تفسر مستوى الظاهرة واتجاهها، بينما تتجه التصورات إلى الفهم والمعنى، والاتجاهات إلى المواقف والميول، والممارسات إلى الفعل والسلوك الفعلي.

وعليه، فإن دقة العنوان تبدأ من دقة المفهوم، إذ ينبغي أن يتوافق المفهوم المستخدم مع السؤال البحثي، وتصميم الدراسة، وأدواتها، ونوع البيانات التي تجمعها، ومستوى الاستنتاج الذي تسمح به. فليست كل علاقة تأثيراً، وليس كل نتيجة أثراً بالمعنى نفسه، ولا كل متغير عاملاً محدداً، كما أن ما يقيسه الباحث من تصورات المبحوثين لا ينبغي أن يُقدم بوصفه حقيقة موضوعية عن الظاهرة.

فالعنوان المنهجي الجيد لا يصف موضوع الدراسة فحسب، بل يعلن بدقة عن طبيعة المعرفة التي يستطيع البحث إنتاجها وإثباتها.

****

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

- المراجع المعتمدة:

- أنول باتشيرجي: **بحوث العلوم الاجتماعية المبادئ والمناهج والممارسات**، ترجمة: خالد بن ناصر آل حيان، اليازوري، عمان، ط2، 2015.
- بلقاسم سلاطنية، حسان الجيلاني: **أسس المناهج الاجتماعية**، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012.
- بلقاسم سلاطنية، حسان الجيلاني: **المناهج الأساسية في البحوث الاجتماعية**، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012.
- جمال فزة، حسن احجيج: **البحث الكيفي في العلوم الاجتماعية نظريات وتطبيقات**، فضاء آدم للنشر والتوزيع، مراكش (المغرب)، ط1، 2019.
- حسام الدين فياض: **تقنيات كتابة البحوث الأكاديمية (منهجية إعداد وتصميم خطة البحص من الألف إلى الياء)**، دار الأكاديمية الحديثة، انقرة، الجزء: الأول، ط1، 2023.
- ذوقان عبيدات وكايد عبد الحق وعبد الرحمن عدس: **البحث العلمي – مفهومه وأدواته وأساليبه**، دار الفكر، عمان، ط17، 2015.
- ذوقان عبيدات، سهيلة أبو السميد: **البحث العلمي البحث النوعي والبحث الكمي**، دار الفكر، عمان، ط1، 2002.
- رشيد زرواتي: **منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية (أسس علمية وتدريبات)**، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2004.
- سعد الحاج بن جخدل: **ثلاثة مناهج لبحث علمي رائد مفاهيم وتصاميم**، دار البداية، عمان، ط1، 2019.
- سلاطنية بلقاسم، حسان الجيلاني: **محاضرات في المنهج والبحث العلمي**، الكتاب الثاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
- طارق عطية عبد الرحمن: **دليل تصميم وتنفيذ البحوث في العلوم الاجتماعية (منهج تطبيقي لبناء المهارات البحثية)**، معهد الإدارة العامة (مركز البحوث)، الرياض، ط1، 2013.

- عامر قنديلجي، إيمان السامرائي: **البحث العلمي (الكمي والنوعي)**، دار اليازوري، عمان، ط1، 2009.
- عبد الرازق جلبي: **المناهج الكمية والكيفية في علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2012.
- عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان: **كتابة البحث العلمي صياغة جديدة**، مكتبة الرشد، الرياض، ط9، 2005.
- عدنان مسلم، أمين صلاح عبد الرحيم: **دليل الباحث في البحث الاجتماعي**، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 2011.
- عقيل حسين عقيل: **خطوات البحث العلمي- من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة**، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 2010.
- علي أحمد الطراح: **تصميم البحث الاجتماعي (الإجراءات المنهجية – الأطر البحثية – التقارير النهائية)**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 2009.
- علي عبد الرزاق جلبي: **تصميم البحث الاجتماعي**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط3، 2012.
- فضيل دليو: **البحوث الكيفية (الأسس والمناهج)**، ألفا للتوثيق، عمان (الأردن)، ط1، 2022.
- فضيل دليو: **مدخل إلى منهجية البحث الاجتماعي**، منشورات مخبر الاستخدام والتلقي في الجزائر، طبعة الكترونية، الجزائر، 2024.
- فادية الجولاني: **تصميم البحوث الاجتماعية وتنفيذها**، المكتبة المصرية، الإسكندرية، 2006.
- فاطمة عوض صابر وميرفت علي خفاجة: **أسس ومبادئ البحث العلمي**، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، ط1، 2002.
- فوزي عبد الخالق، علي إحسان شوكت: **طرق البحث العلمي المفاهيم المنهجيات وتقارير نهائية**، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، ط1، 2007.

- مجموعة مؤلفين: **قضايا العلوم الإنسانية– إشكالية المنهج**، إشراف وإعداد: يوسف زيدان، وزارة الثقافة (الهيئة العامة لقصور الثقافة)، القاهرة، سلسلة الفلسفة والعلم (1)، القاهرة، بدون تاريخ.
- مجموعة مؤلفين: **منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعية**، تحرير: عياش عائشة ورائجة زكية، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا، 2019.
- محمد الجوهري: **طرق البحث الاجتماعي**، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، 2008.
- محمد شفيق: **البحث العلمي، الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية**، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، الطبعة الرابعة، 2000.
- محمد عبيدات وآخرون: **منهجية البحث العلمي (القواعد والمراحل والتطبيقات)**، دار وائل، عمان، ط2، 1999.
- محمد مهدي القصاص: **تصميم البحث الاجتماعي**، دار نيبور، ديوانية (العراق)، ط1، 2014.
- محمد ياسر الخواجة: **البحث الاجتماعي أسس منهجية ونماذج تطبيقية**، مصر العربية، القاهرة، ط1، 2010.
- ميادة القاسم: **الفوارق بين المناهج الكيفية والمناهج الكمية في البحوث الاجتماعية (دراسة لتحقيق التكامل البحثي بين المنهجين)**، المجلة العربية للنشر العلمي، الأردن، العدد: 30، 2021.
- ميادة القاسم: **مناهج البحث الاجتماعي وتطبيقاتها في علم الاجتماع**، المجلة العربية للنشر العلمي، الأردن، مجلة علمية محكمة دولية، العدد: 31، 2021.
- Babbie, E. R. (2021). **The Practice of Social Research** (15th ed.). Cengage.
- Blaikie, N., & Priest, J. (2019). **Designing Social Research: The Logic of Anticipation** (3rd ed.). Polity Press.

- Clark, T., Foster, L., Sloan, L., & Bryman, A. (2021). **Bryman's Social Research Methods** (6th ed.). Oxford University Press.
- Creswell, J. W., & Creswell, J. D. (2022). **Research Design: Qualitative, Quantitative, and Mixed Methods Approaches** (6th ed.). SAGE Publications.
- Hernan, M. A., & Robins, J. M. (2020). **Causal Inference: What If**. Chapman & Hall/CRC.

الدكتور حسام الدين فياض الأستاذ المساعد في النظرية السوسيولوجية المعاصرة (دكتوراه دولة) باحث وأكاديمي في العلوم الثقافية واللغويات واللسانيات الاجتماعية. له العديد من الأبحاث العلمية والمقالات الفكرية التي تجمع بين النظرية السوسيولوجية النقدية، والفكر الاجتماعي، والثقافي المعاصر.

ولد في **مدينة حلب** عام 1980. درس الليسانس في جامعة حلب كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم علم الاجتماع وتخرج منها عام 2004، حصل على دبلوم الدراسات العليا السكانية عام 2005 في كلية الاقتصاد جامعة حلب، ثم حصل على دبلوم الدراسات العليا علم الاجتماع العام عام 2006 في كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة دمشق. وفي عام 2006 عُيِنَ معيداً في قسم علم الاجتماع كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة حلب باختصاص (النظريات السوسيولوجية المعاصرة). حصل على درجتي الماجستير والدكتوراه من جامعة عين شمس في جمهورية مصر العربية. ويعمل حالياً في قسم علم الاجتماع - كلية الآداب - جامعة **ماردين ارتوقلو (تركيا)**.

" في البحث السوسيولوجي، لا يختار الباحث المنهج ليقود السؤال، بل يصوغ سؤاله بوعي يقوده إلى المفهوم والمنهج القادرين على كشف ما يريد فهمه في الواقع الاجتماعي، فدقة المفهوم هي بداية دقة السؤال، وانسجام السؤال مع المنهج هو شرط إنتاج معرفة سوسيولوجية ذات معنى " **(الكاتب).**

نحو علم اجتماع تنويري للدراسات والأبحاث الإنسانية والسوسيولوجية